

المنهج الوصفي وعلاقته بتيسير تعليم النحو العربي

Endang Munawar–STAIDA Muhammadiyah Garut

munawarmadina@gmail.com

Uril Bahruddin – UIN Maulana Malik Ibrahim Malang

urilbahruddin@pba.uin-malang.ac.id

Nurhadi –UIN Maulana Malik Ibrahim Malang

abulanahaq@gmail.com

مستخلص البحث

إن تعليم القواعد النحوية ما زال فيه المشكلات منها لأن تعليمها صعب وهذا يتطلب وجود محاولة تكوين التحليل النحوي الميسر. ويهدف هذا البحث إلى: عن المنهج الوصفي ومحاولة تيسير تعليم النحو بكشف بعض المآخذ على النحو العربي التقليدي ومحاولة تيسير تعليم النحو على ضوء المنهج الوصفي. استخدم الباحث منهج البحث منهجا كفيها لكشف الجوانب الفارقة بين النحو الوصفي والتقليدي وفي تحليل البيانات الكيفية قام الباحث بتحليل الكتب المتعلقة بالمنهج الوصفي والنحاة الذين يحاولون في تيسير النحو العربي. ونتيجة هذا البحث المنهج الوصفي الذي يقوم على ظاهر اللغة دون التعمق في تفسير الظواهر اللغوية والنحوية، وإلغاء العامل، والقياس المنطقي، والعلل، والإعراب المحلي والتقديري.

الكلمات المفتاحية: المنهج الوصفي، تيسير النحو

المقدمة

هناك منهجان أساسيان للنحو هما: المنهج الوصفي ظهرت في أوروبا بوارد المنهج الوصفي الذي أرسى أساسه "دي سوسور"، حيث يعود إليه الفضل في بيان هذا المنهج وإظهار منافعه في الدرس اللغوي، المنهج الوصفي يُعنى بوصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته، ولذلك يرى "دي سوسور" : أن موضوع اللغة أو الدراسة اللغوية الوحيد والحقيقي هو اللغة التي يُنظر إليها كواقع قائم بذاته ويبحث فيها^١.

المنهج التقليدي أو المعياري بخلاف المنهج الوصفي، قائم على فرض القاعدة أي يبدأ بالكليات وينتهي بالجزئيات، والمنهج المعياري يعتمد القاعدة أساسا وينأى عن الوصف، ويتأول لما خرج عن القواعد التي يصوغها بإحكام شتى التأويلات أو يحكم عليها بالشذوذ والقلّة إن لم يجد فيها تأويلا مناسباً ولو كان بعيداً أو مستغرباً. وعرفت المعيارية في الدراسات اللغوية الأوروبية واستخدم لها عبارة اللغة المعيارية (Standard Language)، أو عبارة المعيارية حينما تُوصف اللغة أو النحو أو القواعد عامة^٢.

لا شك أن أثر المنطق الاغريقي (مقولات أرسطو على وجه التخصيص) طاهر في النحو التقليدي^٣. وهناك تكمن البلية الكبرى في النحو: التقدير (لا وجود له إلا في الدماغ النحوي). والتقدير يكون في المواضيع كثيرة، مثلا في المصدر المؤول، أي أن المضارع بعدها، في مثل أريد أن أقول لك وتقديره أريد القول. والمنهج الوصفي يرى أن لفظ أن أقول مفعول

^١ صلاح الدين عبد المجيد العربي، تعلم اللغات الحية وتعليمها: بين النظرية والتطبيق، (لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٨١)، ١٩

^٢ صلاح الدين عبد المجيد العربي، تعلم اللغات الحية وتعليمها: بين النظرية والتطبيق، ٢٣.

^٣ وقد طبق العرب هذه المقولة أي مقولة الجوهر على نحوهم فاعتبروا الجذر الثلاثي أصل الأفعال والأسماء غالبا، ثم اختار وزن "فعل" ميزانا، فقالوا إن أصل "قام" مثلا هو "قوم" وأصل مدّ "مدد" و قاض أصلها قاضي ... الخ. وكما أن للمفرد جوهر كذلك للجملة، ففي قولك: "في المدرسة معلم" مثلا، يعتبر النحاة أن جوهر الجملة ناقص، لذلك يقدرن خيرا محذوفاً تقديره موجود أو مستقر أو كائن ... الخ. ونظرية الجوهر، أدت بالنحاة إلى القول بالإعراب التقديري، والإعراب على المحل، واعتبار الجملة الخبرية أساس البحث اللغوي في الجملة، معتبرين الأنماط الأخرى من الجملة، أشكالاً "منحرفة" من الجملة الخبرية، مما اضطرهم إلى القول بالتقدير والإضمار والتأويل والحذف وما إليها

ومقولة الجوهر إحدى المقولات أرسطو العشر وهي : الجوهر (substance)، والكم (quantite)، والنوع أو الكيف (qualite)، والعلاقة أو الإضافة (relation)، والأين أو المكان (place)، والتمن أو الزمن (temps)، والوضع (position)، والملك (possession)، والفعل (action)، والانفعال (passion) – (أنيس فريحة، نظريات في اللغة، ١٣١)

به في محل نصب. والمصدر المؤول من ان والمضارع في محل نصب من مفعول به من الفعل أريد. والمثل الثاني في الكلمات المعتلة الآخر (الناقصة والمقصورة) مثل جاء القاضي نقدر الضمة على الياء لعله الثقل، ورأيت الفتى أو جاء الفتى فإننا نقدر ضمة وفتحة وكسرة لعله التعذر، والمهج الوصفي يقول في لفظ القاضي والفتى فاعل في محل رفع.

ويحاول الباحث فيما يلي بذلك المنهجين الأساسيين لا غنى عنهما في دراسة اللغة العربية نظريا أو تطبيقيا، وبعد ذلك يسعى الباحث إلى ترتيب إعادة بناء تعليم النحو على ضوء المنهج الوصفي عسى أن يكون هذا البحث نافعا للباحث وجميع دارس اللغة العربية. وجدير بالملاحظة أن دراسة القواعد النحوية ليست غاية مقصودة لذاتها ولكنها وسيلة تعين الدارس على تقويم لسانه وعصمة أسلوبه من اللحن والخطأ. ولتحقيق هذه الغاية تجب مراعاة الدراسة النحوية في ظل اللغة، وذلك بأن تختار أمثلتها وتمرياتها من النصوص الأدبية السهلة، وأن يقتصر في معالجة المسائل النحوية على ما يحقق الهدف المنشود من دراسة القواعد وهو عصمة اللسان والقلم من الخطأ، وينبغي كذلك القصد في استخدام المصطلحات والاختصار فيها على القدر الضروري، ولا يقتصر المدرس في درس القواعد على مناقشة ما يعرضه من الأمثلة واستنباط القاعدة وتقريرها في أذهان طلبة، بل عليه أن يكثر من التدريبات الشفهية المرتكزة على أسس منظمة من المحاكاة والتكرار حتى تتكون العادة اللغوية الصحيحة عند طلبة، وتحل محل المنطق المحرف، وحتى تكون استقامة ألسنتهم وصحة أساليبهم استجابة سريعة طبيعية للقواعد التي يدرسونها، دون جهد أو معاناة في استحياء هذه القواعد، واستحضارها في الذهن.^٤

ويرى الباحث أن المنهج الوصفي منهج في دراسة اللغة يعني بوصف المظاهر اللغوية لا بإيجاد الأسباب والعلل وهذا يسهل الطلبة بفهم القواعد النحوية ويطبّقها ويحلّلها دون الاشتغال بنظرية العلل مثل لماذا الفاعل مرفوع؟ لماذا علامته الضمة وما أشبه ذلك، وأن المنهج الوصفي موافق مع جهد العلماء في تيسير النحو مثل ابن مضاء القرطبي، شوقي ضيف، تمام حسان ومهدي مخزومي. وانطلاقا من هذه المعرفة أراد الباحث أن يقوم بالبحث عن المنهج الوصفي ومحاولة تيسير تعليم النحو بكشف بعض المآخذ على النحو العربي التقليدي ومحاولة تيسير تعليم النحو على ضوء المنهج الوصفي.

٤ جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، (دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٩٨٦)، ١٣٥.

الإطار النظري : منهج تعليم النحو

مفهوم المنهج

المنهج لغةً: المنهج كما جاء في لسان العرب : الطريق الواضح، وطريق نَهج: بيّن واضح مستقيم، قال تعالى "لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا" وجمعه: مناهج، والمناهج هي : الطرق الواضحة التي يسلكها الدارس في دراسته. والمنهاج كالمنهج وهو مصدر ميمي.^٥

والمنهج اصطلاحاً هو فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار من أجل الكشف عن الحقيقة، وهو الخطة التي يرسمها الباحث لنفسه في ترتيب أفكاره، وتوجيه موضوعات بحثه توجيهاً صحيحاً، وهو ينتقل من نقطة إلى أخرى، ومن قضية إلى تالية من أجل الوصول إلى استنباط الأحكام العامة، والنتائج الكلية، والخروج بالمبادئ والنظريات التي تمثل العلوم والمعارف. أو هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة.^٦

ومن الباحثين من يستخدم مصطلح "المنهجية" للدلالة على ما أسلفنا، وهي تعني: العلم الذي يُبيّن كيف يجب أن يقوم الباحث ببحثه، أو هي الطريقة التي يجب أن يسلكها الباحث منذ عزمه على كتابة البحث، وتحديد موضوعه حتى الانتهاء منه، أو هي: مجموعة من الإرشادات والوسائل والتقنيات التي تساعد في بحثه. وهي أتباع مجموعة من المعايير والتقنيات والوسائل من قبل الباحث. وكان طبيعياً أن يرتبط منهج البحث بالجامعات ارتباطاً وثيقاً؛ لأنها موئل الحقيقة، ولأنّها تتعامل مع طبقة من المجتمع مؤهلة للبحث، وطلب الحقيقة، إضافة إلى أنّ البحث العلمي في الجامعات هو أحد الركائز التي قامت الجامعة من أجل تحقيق خدمة للمجتمع الذي أنشئت فيه، وللشريحة بشكل عام، وغالباً ما تقاس الجامعات بمدى ما تقوم به في خدمة البحث العلمي.^٧ والمنهج هنا طرق أو نظام التحليل النحوي لاكتشاف القوانين النحوية الحقيقة ويتوصل بذلك استنباط القواعد النحوية.

٥ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (القاهرة: دار صادر، ٢٠١٠)، الجزء الرابع عشر، ١

٦ محمود سليمان ياقوت، منهج البحث في اللغة، الكويت: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠، ٨١،

٧ محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، ٨١

مفهوم النحو

النحو هو علم بأصول تعرف بها أحوال الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء، أي: من حيث ما يعرض لها في حال تركيبها. فبه نعرف ما يجب عليه أن يكون آخر الكلمات من رفع، أو نصب، أو جرّ، أو جزم، أو لزوم حالة واحدة بعد انتظامها في الجملة^٨. والنحو هو قواعد يعرف بها أحوال أواخر الكلمات العربية التي حصلت بتركيب بعضها مع بعض من إعراب وبناء وما يتبعهما^٩. وقيل إن النحو هو علم يقوم على أساس تحليل الصورة النظرية للغة (نظريات اللغة)، يتضمن هذا التحليل مستويات وصفية مناسبة تتسم بالوضوح والضبط الدقيق، هذه المستويات تحدد كل جمل اللغة وتراكيبها في ضوء أوسع تعميم ممكن^{١٠}.

مفهوم النحو التقليدي

المنهج التقليدي أو المعياري بخلاف المنهج الوصفي قائم على فرض القاعدة أي يبدأ بالكليات وينتهي إلى الجزئيات، ولما كان المنهج الوصفي منهجا استقرائيا يعتمد المادة اللغوية أساسا فالمنهج المعياري يعتمد القاعدة وينأى عن الوصف ويتأول لما خرج عن القواعد التي يصوغها بأحكام: شتى التأويلات. أو يحكم عليها بالشذوذ والقلّة إن لم يجد لها تأويلا مناسباً^{١١}.

يمكن أن نستدل ببعض المظاهر على المنهج المعياري في الدراسات اللغوية القديمة، وهي مظاهر مرتبطة بأصول اعتمدها النحاة واللغويون في توجيه أفكارهم، وتتلخص فيما يأتي: ^{١٢}

١- الأخذ من بعض القبائل واللهجات وترك قبائل أخرى ولهجات أخرى، وخاصة ما يتعلق بالمفردات والتصريف والتركيب، وأكثر القبائل التي أخذوا عنها : قيس وتميم وأسد، وهذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين.

٨ مصطفى الغلابي، جامع الدروس العربية، ٨.

٩ أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، ٢١.

١٠ محمود كامل الناقة، تعليم اللغة العربية للمناطق بلغات أخرى، ٢٧٥.

١١ علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، (القاهرة: دار الثقافة والأعلام، ١٩٨٦)، ٢٣.

١٢ علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ٣٠.

- ٢- إدخال بعض المناهج التي عرفت التقسيم والتحديد على البحث اللغوي منها منهج علوم الحديث في بعض اصطلاحاته كالضعيف والمنكر والمتروك.
- ٣- قسيم الكلام - من حيث الاستعمال - الى مطرد وشاذ وهما في حكم الاستعمال واحد أي إن كل من هما مستعمل موجود في لغة العرب وان كثر الأول وقل الثاني.
- ٤- التقدير والافتراض : القصد من ذلك تقدير جمل وافتراضها على أساس توجيه الكلمات المتضمنة فيها توجيهها إعرابيا تفقد بموجبه الجملة أو الجمل تكافأها الدلالي فتخرج من حيز المعقول والمفهوم ففي جملة (زيد في الدار) يقدرون لها (زيد مستقر في الدار) أو (زيد استقر في الدار) على خلاف في ذلك. وألجأهم إلى هذا أن الجار والمجرور لا يصلح أن يكون خبرا وإنما متعلق بمحذوف هو الخبر، واختلفوا في هذا المحذوف أهو اسم أو فعل.
- ٥- تأثر علوم العربية بالعلوم الأخرى كعلم الكلام والفلسفة، حتى أصبح كلامهم في النحو أقرب الى الفلسفة منه الى النحو نفسه، ولبيان هذا الأمر سنتناول بالبحث العلة والعامل.
- أ) العلة :

إن عمل المنهج الوصفي الوحيد هو تقرير الحقائق اللغوية، بحسب ما دل عليه الملاحظة، من دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية أما المنهج المعياري أو النحو التقليدي، فيهتم أساسا بمعرفة العلة. فأمام جملة ((جاء الرجل)) مثلا يتفق المنهجان في أن (جاء) فعل ماضٍ مبني على الفتح وأن (الرجل) فاعل مرفوع بالضممة لكنهما يختلفان في الإجابة عن السؤالين : لماذا بني الفعل؟ ولماذا رفع الفاعل؟ فبينما تقول المدرسة الوصفية، لا تعليل لبناء الفعل ولا لرفع الفاعل سوى نطق العرب به على النحو، تذهب المدرسة المعيارية الى تعليل البناء في الفعل و الرفع في الفاعل، فنقول: إن الأسماء أقوى الكلمات وأرفعها قوة ومرتبة، لذلك أعربت، أما الأفعال فأحداث تصدر عن الذوات، فهي تأتي بمرتبة ثانية من القوة لذلك بنيت، وعن علة رفع الفاعل تقول: إن الفاعل رفع كي يخالف المفعول به، أي للترقية بينه وبين المفعول به، وكذلك يعلل اختيار الرفع للفاعل والنصب للمفعول بأن الفاعل في الكلام أقل من المفعول به، وبأن الضمة حركة ثقيلة، لذلك أعطوا الحركة الثقيلة (الضممة) للفاعل، والحركة الخفيفة (الفتحة) للمفعول به، لأن أكثر دورانا على اللسان، فتكون النتيجة شيوع الفتح في الكلام لا الضم، وهذا أسهل.

ب) العامل :

إن قضية العامل النحوي خير مثال على إقحام الفلسفة والمنطق في دراسة اللغة، فمن المعروف أن اللغة العربية معربة، وأن أواخر معظم الكلمات فيها تتغير تبعاً لموقعها في التركيب أي لوظيفتها النحوية. وللباحث أمام ظاهرة الإعراب موقفان: موقف الواصف المقرر، وموقف المتفلسف الذي يحاول أن يجد العلل والأسباب لهذه الظاهرة وقد اتخذ علماء العربية الموقف الثاني فقالوا إن سبب الأعراب عامل يسبب الرفع أو النصب أو الجزم أو الجر، والعوامل عندهم لفظية ومعنوية. وتقدير العامل كان سبباً من أسباب الخلاف بين النحاة، إذ إنهم لم يختلفوا في أن المبتدأ والخبر مرفوعان مثلاً، بل اختلفوا في عامل الرفع الذي رفعها. وأصبحت فكرة العمل النحوي المحور الذي دار عليه النحو العربي كله

مفهوم النحو الوصفي

كان النحو القديم وهو مصطلح يماثله النحو التقليدي Traditional Grammer قد ساد ردحا من الزمن أعمال وأفكار الأوروبيين اللغويين. وهو نحو مستعد أساساً من أفكار أرسطو عن طبيعة اللغة اليونانية وعلم المنطق ومزيج من آراء أفلاطون. ونظريات الرواقين عن أجزاء الكلام، وأفكار عن طبيعة المعنى انتشرت في فترات من القرون الوسطى، وفرضيات عن علاقة اللغة بالعقل كانت شائعة بين فلاسفة القرن السابع عشر ميلادياً، وآراء عن اللغة الصحيحة أو الفصحى منحدره من قواعد صنعت في القرن الثامن عشر ميلادياً في انكلترا ودراسات عن تاريخ اللغة تعود إلى القرن التاسع عشر ميلادياً.^{١٣}

ثم ظهرت في أوروبا بوارد المنهج الوصفي الذي أرسى أساسها دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣م)، ويعود إليه الفضل في بيان هذا المنهج وإظهار منافعه في الدرس اللغوي، فهو يعنى بوصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته، قال دي سوسير "إن موضوع الدراسة اللغوية الوحيد والحقيقي هو اللغة التي ينظر إليها كواقع قائم بذاته ويبحث فيها لذاتها". وابتعد بذلك عن النظر في اللغات من وجهة النظر التاريخية أو المقارنة، مؤكداً وصف اللغة في فترة زمنية محددة لنصل على الأقل إلى معرفة البنية أو التركيب الهيكلي لها. لذلك يشار دائماً

١٣ علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ١٠

إلى المنهج الوصفي في علم اللغة بأنه علم ساكن static، ففيه توصف اللغة بوجه عام على الصورة التي توجد عليها في نقطة زمنية معينة ليس ضروريا أن تكون في الزمن الحاضر.^{١٤}

وللمنهج الوصفي أسس عامة تتوزعها أفكار تنظيمية للمنهج وقواعد عملية في التحليل، منها أن الوصف لأية لغة ينبغي أن يبدأ من الصورة المنطوقة الى الصورة المكتوبة، باعتبار أن اللغة وجهين: وجه الكلام وهو الذي تنصرف إليه الوصفية بأهمية خاصة، ووجه الكتابة؛ لذلك آثر الوصفيون تقسيم اللغة الى لغة الكلام ولغة الكتابة، الأولى هي المادة الأساس لعملية التحليل اللغوي، والأخرى هي الصورة أو الشكل لهذا التحليل.^{١٥}

منهج البحث

البحث استخدم الباحث المدخل الكافي لإيضاح الجوانب النحوي على ضوء المنهج الوصفي، ويتضح من ذلك الجوانب الفارقة بين المنهج الوصفي والمنهج التقليدي بناء على أسئلة البحث، فإن البيانات في هذا البحث تدور حول الأجوبة عن الأسئلة السابق ذكرها، وهي كشف الجوانب النحوية الفارقة بين المنهج الوصفي مع منهج النحو التقليدي، فالبيانات الكيفية تتعلق بالمنهج الوصفي، والمصدر الأساسي من هذا البحث هو الكتب المتعلقة بأصول النحو ومنهج البحث اللغوي وعلم النحو الحديث. بجانب ذلك، لا يستغنى الباحث عن البحوث المتعلقة بمنهج النحو وصفية تركيبية كانت أو تقليدية، كتباً كانت أو مجلات، بل هذه البحوث تعتبر بيانات مهمة جدا لفهم هذا المنهج. فيتضح أن مصدر البيانات في هذا البحث هو جميع الدراسات التي لها علاقة بأراء علماء النحو الوصفي.

نتائج البحث ومناقشتها

النحو التقليدي والنحو الوصفي (دراسة مقارنة)

كان اللغويون المحدثون يطلقون على النحو القديم اسم النحو التقليدي Traditional Grammer ويعنون به منهج النحو القائم على أفكار أرسطو عن طبيعة اللغة اليونانية، كما تتمثل في أعمال اليونان والرومان القدماء. والذي نود أن نشير إليه هنا أن النحو التقليدي نحو غربي، وأن النحو الوصفي بحدوده العلمية الحديثة نحو غربي أيضا، نلاهما نشأ وتطور في

١٤ علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، ١١

١٥ علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث ، ١١

اللغات الأوروبية. والوصفيون يفيضون في شرح جوانب النقص في النحو التقليدي ولا يكاد يخلو بحث من هذا الشرح ونحن هذه الجوانب فيما يلي:^{١٦}

- ١- إن الفرق الجوهرى بين النحو التقليدي والنحو الوصفي التركيبي هو الفرق بين منهج العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية، ولعل أهم خصائص النحو القديم أنه يحدد قواعد اللغة بناء على فهم المعنى أولاً، ومعنى ذلك أن القواعد تتحد وفقاً للدارس نفسه، أي أن هذا النحو يتقدم على أساس ذاتي Subjective، أما النحو الوصفي فيقيم تحليله التركيبي للغة على أساس ارتباط الظاهرة بالظواهر الأخرى وليس على أساس ارتباطها بالدارس نفسه، ومن ثم أن النحو الوصفي ركز اهتمامه على درس الأشكال اللغوية باعتبارها أنماطاً يسهل رصدها ووصفها من خلال قوانين العلاقات.
- ٢- أن النحو التقليدي يهتم أساساً بمعرفة العلة، والسؤال الذي يشغل أصحابه دائماً هو: لم كان هذا هكذا ولم يكن غير ذلك؟ والاهتمام بالتعليل كان نتيجة لصدور هذا النحو على الفكر الأرسطي، أن النحو أما النحو الوصفي فهمه الوحيد هو أن يقرر الحقائق اللغوية حسبما تدل عليها الملاحظة دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية. والحق أن هذا الفرق جعل النحو التقليدي مفهوماً على وجه العموم بسبب تاريخه الثقافي الذي يربطه بالنظرية الأرسطية، وباتجاهات الدراسات الدلالية في العصور الوسطى.
- ٣- أن النحو التقليدي باعتماده على المنطق الأرسطي أخذ الجملة الخبرية باعتبارها أساس البحث اللغوي، ومن ثم تحددت أقسام الكلام حسب وظيفتها في هذه الجملة فقط، أما الأنماط الأخرى من الجملة فقد جرى شرحها باعتبارها أشكالاً منحرفة من الجملة الخبرية.
- أما النحو الوصفي فيؤكد على ضرورة تناول كل النطوق اللغوية على ميزان واحد من البحث، وعلى تقرير الخصائص المميزة لكل الأنماط. والحق أن الجملة الخبرية اعتبرت أساسية أيضاً في النحو الوصفي، ولكن ذلك يرجع إلى كثرة استعمالها وليس إلى افتراضات سابقة.
- ٤- أن اعتماد النحو التقليدي على المنطق الأرسطي، وهو مبني على اللغة اليونانية أدى بهذا النحو إلى تحديد قواعد اللغات الأوروبية على ضوء ما تقرر في اللغة اليونانية واللغة الأتينية، وهكذا حدث خلط شديد في فهم ظواهر كل لغة.

١٦ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث: بحث في المنهج، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٧)، ٤٥

٥- أن النحو التقليدي لم يميز بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة على حين أن لكل منهما نظاما خاصا قد يختلف اختلافا كبيرا على صاحبه، بل إن هذا النحو ركز اهتمامه على اللغة المكتوبة، بل على أنواع معينة منها، وقد ترتب على ذلك أولا أنه قدم قواعد اللغة على أساس معياري وعلى أساس جمالي تقييمي، فهذا استعمال عال وذاك متوسط وثالث قبيح وهكذا، وترتب عليه ثانيا أنه قدم تفسيرات غير صحيحة لنصوص مختارة اختيارا دقيقا، أو لنصوص موضوعة لتلائم قواعده، ومن ثم حكم على غير ذلك من الاستعمال بأنه شاذ أو استثنائي أو غير نحوي

٦- أن النحو التقليدي قد خلط مستويات التحليل اللغوي خلطا شديدا، بحيث لا يتحدد أسس التحليل الصوتي والصرفي والنحوي في نسق منهج واضح، وإنما هي تتداخل تداخلا يؤدي إلى تناقض الأحكام في كثير من الحالات.

هذه هي جوانب النقص في النحو التقليدي كما يعددها الوصفيون، ومع ذلك فلا يزال هذا النحو سائدا في مراحل التعليم المختلفة في الغرب، والوصفيون يعترفون بأن النحو القديم قد أثبت أن فيه جوانب قوة واضحة، منها أنه استطاع أن يستمر هذه القرون الطويلة، وأن الناس يفهونه حين يتعلمون اللغات الأروبية على أساسه، وأنه باعتباره إنسانيا في أصله يقدم إجابات عن الأسئلة التي تواجهه. والنحو الوصفي على أية حال لم يقدم حتى الآن نحوا شاملا يضارع شيئا مما قدمه التقليديون.^{١٧}

ومن البيان السابق استنتج الباحث أن الوصفيين رأوا جوانب النقص في النحو العربي في أن النحو التقليدي عمدوا إلى فرض هذه القواعد على اللغة، وكانوا كلما دهمتهم الأمثلة التي تعارضهم لجأوا إلى تأويلها أو وصفها بأنها شاذة أو نادرة أو أن صاحبها قد أخطأ، وإن النحو التقليدي قد خلطوا هذه المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية خلطا شديدا، كما نرى في المؤلفات النحوية الباكورة والمتأخرة على حد سواء. وأن النحو التقليدي لا يميز بين (اللغة المكتوبة) و (اللغة المنطوقة). وإن النحو العربي يتأثر بالتحليل الفلسفي في: العلة والعامل ومسألة الجوهر، كما تأثر بالتعريف الأرسطي.

١٧ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ٤٧

تيسير النحو العربي وعلاقته بالمنهج الوصفي

ونظرا إلى المظاهر السابق بيانه أن مؤسس المدرسة الوصفية يجب أن يكون عربيا هو ابن مضاء القرطبي^{١٨}، فإنه حاول أن يقضي على فكرة العامل والعلة في كتابه الصغير الحجم الكبير الفائدة "الرد على النحاة"^{١٩}.

يمكن العثور على بذور أوليته للمنهج الوصفي في الدراسات اللغوية المبكرة بالأمر الآتية:

أولا : اتصال أوليات النحو العربي بالواقع اللغوي اتصالا مباشرا والواقع اللغوي هو الاستعمال، والاستعمال من أهم الركائز للمنهج الوصفي. لأن الوصف قرينة الاستعمال، ولا يتصور وصف للغة ما من غير نظر في استعمالها الواقعي. والاتصال المباشر بالواقع اللغوي أصل من أصول النحو الوصفي، وقد كان أصلا من أصول النحو العربي نتيجة لطبيعة الحياة العربية ولطبيعة الحركة العلمية التي نشأت في مناخ عام أساسه النقل والرواية. وقد أدى هذا الاتصال إلى أن يكون في النحو اتجاه وصفي في تناول كثير من ظواهر اللغة.^{٢٠}

ثانيا : ومن أمثلة الاتصال بالواقع اللغوي تلقي النصوص من أفواه الرواة ومشاهدة الإعراب والنقل عنهم مما مهد إلى استقرار اللغة واستنباط القواعد نتيجة لهذا الاستقرار، ومن ثم رأى تمام حسان ان الدراسات العربية الأولى تتسم بالوصف وتناهى إلى حد كبير من المعيار^{٢١}

ثالثا : أن منهج البحث في مدرسة الكوفة التقليدية في بداية نشأتها كان أقرب إلى المنهج الوصفي باعتماد الكوفيين أساسا على المسموع وبخاصة النصوص وعدم إخضاعها كلية إلى القواعد بل استبطن القواعد منها وتوجيههم نصوص القرآن واللغة هذا المنحى من المنهج من المنهج وعدم تعويلهم الكبير على التأويلات البعيدة المتكلفة، وابتعادهم عن إخضاع الدرس اللغوي على روح منطق البحث.

١٨ وهو أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن مضي اللخمي القرطبي (٥١٣-٥٩٢ هـ/١١١٦-١١٩٦ م) ولد في قرطبة بالأندلس. من علماء النحو وله فيه آراء ومذاهب خالف فيها النحويين. ارتحل إلى إشبيلية ليدرس على ابن الرماك كتاب سبويه، ثم هاجر في طلب الحديث إلى سبتة بالمغرب (ويكيبيديا)

١٩ أنيس فريجة، نظريات في اللغة، ١١٦

٢٠ عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ١٩٧٩، ٢٥

٢١ تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ١٩٨٠، ٣٧

يمنع الكوفيون تقديم الخبر على المبتدأ في مثل قائم زيد وذهب عمرو، وفي مثل أبوه قائم زيد، ولا يرون رأي البصريين الذين يميزون تقديم الخبر المفرد أو الجملة كما في الأمثلة الثلاثة المتقدمة، ويعرب الكوفيون ذلك المبتداء المتأخر (عند البصريين) فاعلا لقائم وذهب اللذين يعربان مبتداء. وحجة الكوفيين هو أن تقدم الخبر في مثل هذه الجمل يلزم عليه تقدم ضمير يعود على المبتدأ المؤخر (في رأي البصريين) وفي ذلك عود للضمير المتقدم على المبتدأ المتأخر، ورتبة الضمير في الأصل التأخر عن العائد إليه لا التقدم.^{٢٢}

إن مذهب الكوفيين في هذه المسألة أقرب إلى الوصف من مذهب البصريين كما أنها أقرب إلى الواقع اللغوي أيضا وليس بها نوع من الإكراه أو الغصب لإجبار النص على ترتيب معين. وأثر ذلك المقف والمنهج بالنص في منهجهم النحوي واهتموا بالرواية والتلقين وذلك يتناسب تماما مع المنهج الوصفي.

رابعا : تناول الظاهرة الظاهرة اللغوية على أساس شكلي وليس معنوي، والشكل هو الظاهر والوصفي يعن بالظاهر أكثر عنايته بما هو خلف ذلك، إن النحاة الأوائل قد كانوا يتناولون الظواهر اللغوية على أساس شكلي وهو مبدأ من مبادئ النحو الوصفي^{٢٣}

لتيسير فهم تعليم النحو عند الطلبة قام شوقي ضيف بإعداد كتاب تجديد النحو واطلع الباحث من هذا الكتاب الأشياء المحددة، هي: خمسة أشكال: (١) إعادة تنسيق الأبواب: كدمج باب الاشتغال وكان كاد وظن وأعلم في باب المفعول به ودمج باب التنازع والتحذير والإغراء في باب الذكر والحذف. وإعادة تنسيق باب التمييز. (٢) تبسيط الإعراب: كإلغاء الإعراب التقديري والمحلي وعلامات الإعراب الفرعية، وتعرب أفعال الاستثناء أدوات الاستثناء وما بعدها مستثناء منصوب، وإلغاء إعراب كم الخبرية والاستفهامية وأدوات الشرط الاسمية (٣) إعادة التعريف : إعادة تعريف المفعول المطلق والمفعول معه والحال. (٤) تبسيط القواعد: كحذف شروط اشتقاق اسم التفصيل وفعل التعجب والتصغير، وحذف قواعد اسم الآلة والنسب. (٥) إضافة الباب: كإضافة قواعد النطق، وجدوال التصريف، وتاء التأنيث ونوني الجمع والمثنى. ويتميز الكتاب المنتج بأنه يستخدم المدخل الاستقرائي، ومحتوى الكتاب

٢٢ كمال الدين ابن الأثيري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، (دار الإحياء التراث العربي، بيروت)،

٥٤.١٩٤١

٢٣ عبده الراجحي، النحو العربي ودرس الحديث، ٥٩

المصمم على أساس تحديد النحو عند شوقي ضيف الذي يلغي الإعراب المحلي والتقدير ويلغى العامل في الإعراب ويعيد تعريف الباب.

وقد قسم تمام حسان الدراسات النحوية قسمين: أولاً الجملة من حيث المبنى ويشتمل على الجملة الإسمية (المبتداء والخبر، الإخبار بالذي والألف واللام، نواسخ الجملة الإسمية، كان وأخواتها، ما ولا ولات وإن النافية، أفعال المقاربة، إن وأخواتها، لا النافية للجنس)، الجملة الفعلية (الفعل والفاعل، الفعل ونائب الفاعل)، الجملة الوصفية (جملة وصفي فاعل ومفعول، جملة صيغ المبالغة، جملة الصفة المشبهة، جملة أفعال التفضيل)، ظواهر في تركيب الجملة (الاشتغال والتنازع)، و الجملة الشرطية (الشرط والجواب، الشرط الامتناعي، أما ولولا ولوما).

ثانياً الجملة من حيث المعنى ويشتمل على الخبر والإنشاء، الإنشاء طلي (الأمر، التحضيض، العرض، الإغراء، النهي، التحذير، الاستفهام، التمني، الترجي، الدعاء، النداء، الاستغاثة) والإنشاء الإفصاحي (القسم، العقود، الندبة، التعجب، المدح، الذم، الإخالة، الحكاية الصوتية)

وأما مهدي الخزومي فقد رأى أن التيسير هو عرض جديد لموضوعات النحو ييسر للناشئين أخذها واستيعابها وتمثلها. وهو بهذا الرأي أراد إعادة بناء المفاهيم على أساس النظرية اللغوية العربية الحديثة وخالف عن رأي الآخرين الذين أرادوا بإعادة التنسيق والتبويب وإصلاح الطريقة التدريسية دون ترك الجهود القديمة الموروثة.

ومن مظاهر السابق بيانه أن النحاة العرب الذين يحاولون على تيسير تعليم النحو قد انتهج بالمنهج الوصفي، حيث يتفقون أن النحو العربي وإصلاحه يمكن في إصلاح منهجه وذلك من خلال اعتماد المنهج الوصفي في دراسة اللغة العربية وتحليلها من كل متساوئ المنهج المعياري، الذي جاء به النحاة العرب المتأخرون بوصفه منهجا يعول على أصول منطقية وفلسفية، أحالت الدرس النحوي العربي إلى درس غريب عن طبيعة اللغة العربية، التي أثقل كأهل دارس العربية في حفظ قواعده المعقدة والصعبة، التي لا تمت إلى الدرس اللغوي في شيء في الأعم والأغلب. والحاصل أن محاولتهم في تيسير تعليم النحو العربي يرفضهم بنظرية العامل والعلل والقياس المنطقي وإلغاء المحلي التقديري انتهج على نمط المنهج الوصفي.

الخلاصة

بعد جمع البيانات وتحليلها ومناقشتها فيما يتعلق بالمنهج الوصفي وعلاقته بمحاولة تيسير النحو وصل الباحث إلى النتائج المهمة وهي المنهج الوصفي الذي أرسى أساسه "دي سوسور"، وهذا المنهج الذي يركز بوصف اللغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته، وإلغاء العامل، والقياس المنطقي، والتأويل، والعلة، والإعراب المحلي والتقديري. ومن البيان السابق استنتج الباحث أن الوصفيين رأوا جوانب النقص في النحو العربي في أن النحو التقليدي عمدوا إلى فرض هذه القواعد على اللغة، وكانوا كلما دهمتهم الأمثلة التي تعارضهم لجأوا إلى تأويلها أو وصفها بأنها شاذة أو نادرة أو أن صاحبها قد أخطأ، وإن النحو التقليدي قد خلطوا هذه المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية خلطا شديدا، كما نرى في المؤلفات النحوية الباكرا والمتأخرة على حد سواء. وأن النحو التقليدي لا يميز بين (اللغة المكتوبة) و (اللغة المنطوقة). وإن النحو العربي يتأثر بالتحليل الفلسفي في: العلة والعامل ومسألة الجوهر، كما تأثر بالتعريف الأرسطي. ونظرا إلى المظاهر السابق بيانه أن مؤسس المدرسة الوصفية يجب أن يكون عربيا هو ابن مضاء القرطبي، فإنه حاول أن يقضي على فكرة العامل والعلة في كتابه الصغير الحجم الكبير الفائدة "الرد على النحاة"

قائمة المراجع

- إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصري، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع
- ابن الأنباري، نزهة الألباء، القاهرة: دار نهضة مصر
- ابن جني، الخصائص، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب
- أبو الفضل جمال الدين مُجَّد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، القاهرة: دار صادر، ٢٠١٠
- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية
- أنيس فريجة، نظريات في اللغة، بيروت: دار الكتب اللبناني، ١٩٨١
- تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ١٩٨٠
- جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٩٨٦
- صلاح الدين عبد المجيد العربي، تعلم اللغات الحية وتعليمها: بين النظرية والتطبيق، لبنان: مكتبة لبنان، ١٩٨١
- عبد الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث: بحث في المنهج، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٧
- علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، القاهرة: دار الثقافة والأعلام، ١٩٨٦
- كمال الدين ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٤١
- مُجَّد داود وأوريل بحر الدين، العربية وعلم اللغة الحديث، مالانج: لسان عربي

محمود كامل الناقة، تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، ٢٧٥.

محمود سليمان ياقوت، منهج البحث في اللغة، الكويت: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠

مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، بيروت لبنان: دار العلوم الإسلامية

Abdul Chaer, *Linguistik Umum*, Jakarta: PT Rieneka Cipta, 2007